الحج أفضل مكان للتطرق الى موضوع المسجد الاقصى

محمد أسدي موحد(باحث وأستاذ جامعة)

قال قائد الثورة المعظّم، آية الله الخامنئي في خطابه الأخير خلال لقائه بمسؤولي هيئة الحج والعمرة، فيما يتعلق بحديثهم حول ما يجب عمله للحج، قال "أحد القضايا هو موضوع الصهاينة. أي أن آفة الصهيونية على العالم الإسلامي اليوم هي آفة متواصلة ومستمرة. فالصهيونية كانت على الدوام كارثة، حتى قبل تشكيل النظام الصهيوني المزيف. في ذلك الوقت، كان الرأسماليون الصهاينة كارثة على الجميع في العالم، لكنها الآن كارثة على العالم الإسلامي على وجه الخصوص يجب الكشف عن هذا، يجب أن يقال؛ الآن بأي طريقة تعرفونها، وبأي طريقة ممكنة".

انّ الحج اليوم هو أحد التجمعات الاستثنائية ليس فقط للعالم الإسلامي وانما أيضًا للمجتمع البشري بأسره. ويعتبر هذا التجمع فرصة لتقديم صورة مختلفة عما يتأثر بالجو الإعلامي في أذهان شعوب الدول العربية والإسلامية الأخرى، وهي فرصة فريدة من نوعها إذا تم استخدامها بشكل صحيح وذلك نظرا إلى العدد الكبير نسبيًا من الإيرانيين بين الحجاج. ومن الإجراءات والفرص التي يمكن القيام بها بخصوص الحج هو ربطه بقضية مشتركة بين الأمة الإسلامية، وهي قضية فلسطين. إن مراسم البراءة من المشركين نظرًا لاستمرارها عبر السنين وإراقة الدماء فيها عام ١٩٨٧م هي مراسم بقيت في أذهان كثير من المسلمين أو يمكن تسليط الضوء عليها. وتعدّ هذه المراسم من الفرص الخاصة للجمهورية الإسلامية الإيرانية لتسليط الضوء على جرائم الصهاينة وفضح ممارساتهم الاجرامية والإعلان عنها. طبعًا من الجيّد أن تركّز هذه الإجراءات على المسجد الأقصى، بالنظر إلى الحج وتشابه المسجد الأقصى مع مكة(كونه قبلة). فالمسجد الأقصى هو أرضية مشتركة بين جميع المسلمين وحتى غير المسلمين فيما يتعلق بقضية فلسطين.

وفي وقت سابق قال قائد الثورة خلال لقائه مع مسؤولي الحج عام ١٩٩٦ "ان موضوع المسجد الأقصى مطروح الآن على الطاولة. لقد أصبح الصهاينة متعجرفين وأعطوا لأنفسهم الحق في مضايقة ومنع أصحاب المسجد الأقصى. واين يمكن للأمة المسلمة أن تجد مكانا افضل من الحج للتطرق الى موضوع المسجد الأقصى وابداء رآيها حوله؟ وأين ينبغي ابداء الرأي حول التواجد الأمريكي في المنطقة؟ الحج هو أفضل مكان".

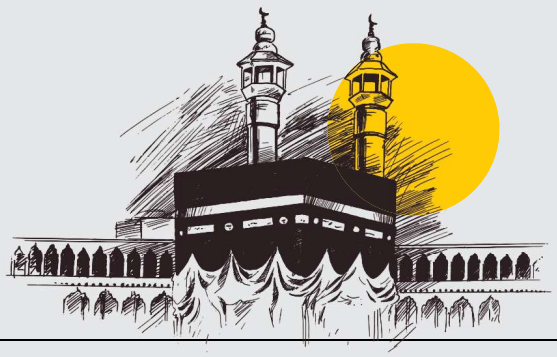

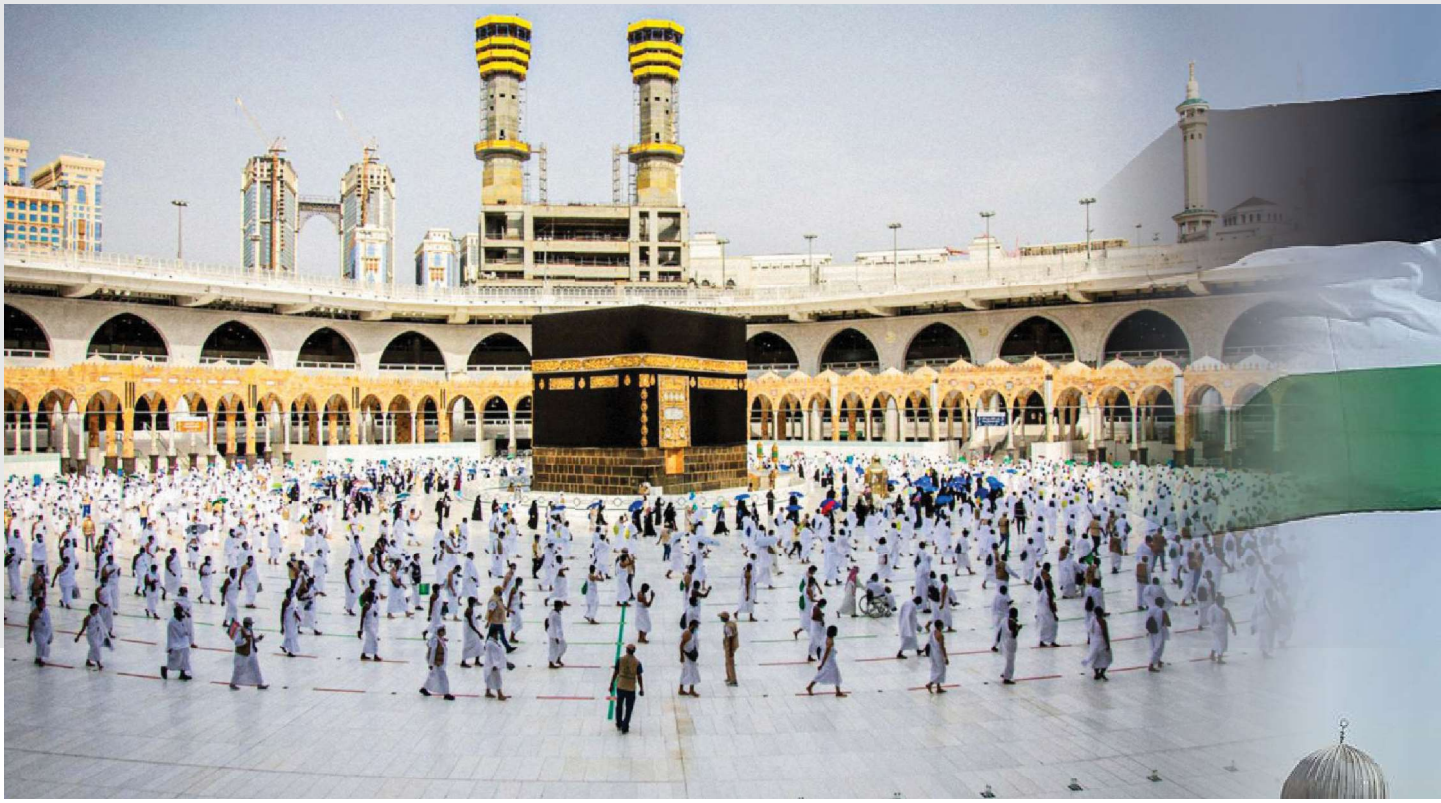

وأحد الفرص التي يوفرها الحج هو التقارب بين شعبي إيران وفلسطين. ونظرًا للأجواء غير السياسية للحج، فإنّ حضور حجم كبير من الشرائح الفلسطينية - طبعا باستثناء أهالي غزة، الذين حُرموا تقريبًا من الحج في السنوات الأخيرة - يوفر فرصة للقاء والتواصل الاجتماعي المباشر بين الشعبين ومن خلال الفطنة والذكاء يمكن حتى إزالة وتبديد بعض الشكوك خلال هذه اللقاءات. في الستينيات(عقد الثمانينيات من القرن العشرين)، وبسبب اختلاف الأجواء، كانت هذه الأعمال تتم على نطاق أوسع وتتكرر أكثر، وحتى ان الفلسطينيون شاركوا في مراسم البراءة من المشركين. أحد مصاديق ذلك والذي نادرًا ما يتم ذكره حتى بالنسبة للمجتمع الإيراني هو مايتعلق بالحج الدموي في عام ١٩٨٧م.

في تلك المراسم، استشهد حوالي ٢٠ فلسطينيًا الى جانب الحجاج الإيرانيين اثر هجوم آل سعود على المشاركين في هذه المراسم. وبعد انتهاء المراسم أصبح فندق الفلسطينيين ملاذًا آمنًا للحجاج الإيرانيين للهروب من قوات آل سعود. وبعد انتهاء موسم الحج، أقام فتحي الشقاقي، زعيم حركة الجهاد الإسلامي آنذاك، مراسم تأبين للشهداء الحجاج الإيرانيين والفلسطينيين في غزة، وهذه المراسم هي الأخرى تعرضت لهجوم من قبل الصهاينة. هذا المصير المشترك لشهداء الحجاج الإيرانيين والفلسطينيين هو موضوع مناسب ونادر للغاية لتقارب الشعبين، لم يتم الاستفادة منه بشكل صحيح حتى الآن.

وهناك رواية نادرة أخرى قلّما تم التطرق اليها ويمكن أن تكون مثيرة للاهتمام بالنسبة للحجاج الإيرانيين وغير الإيرانيين وهي قصة تقديس الحج. ففي القرون الماضية كان الحج يعرف بصعوبته وبرحلته الطويلة وكان المسجد الأقصى أحد الجهات التي يقصدها الإيرانيون للحج... أحد الطرق التي كان الحجاج الإيرانيون يختارونها للحج في العهد الصفوي وحتى منتصف الفترة القاجارية وحتى زمن الاحتلال والحجاج غير الإيرانيين من الماضي إلى حرب الأيام الستة واحتلال القدس، هو طريق حلب إلى الشام ومن هناك إلى المدينة، وفي اثناء ذلك كان بعضهم يذهب بهذه الطريقة إلى القدس. وكانت زيارة المسجد الأقصى خلال الذهاب والاياب من مكة عادة اختارها العديد من المسلمين ووكانوا يسمونها "تقديس الحج" أي ترافق "الحج" مع زيارة "القدس".

في الختام، تعتبر فلسطين ووظيفتها السياسية في إبراز الصورة السياسية لمناسك الحج من أهم القضايا والأولوية في العالم الإسلامي، والتي، رغم مرور أكثر من ٦٠ عامًا، لم يتم حلها بعد. إن التركيز على هذه القضية في الحج يمكن أن يذكّر السياسيين والحكومات حكام الدول الإسلامية بإيصال هذه القضية إلى مرحلة قابلة للحل وان يتفاهموا على أهم قضية في العالم الإسلامي. هذه الأرضية المشتركة يمكن أن تؤدي إلى التضامن والتلاحم بين المسلمين للتحرك نحو حلها، وهذه نقطة مهمة في الأجواء التي نعيش فيها.